الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبـــة
على تذبذب منسوب النيل فى العصر الفاطمى

د. يمنى رضوان (*)

مقدمـــة :

حَبى الله سبحانه وتعالى مصر النيل العظيم، الذى ذكره فى القرآن الكريم، فقال :" ونادى فِرْعَوْنُ فى قَومِهِ قَالَ ياقَوم أَلَيسَ لِي مُلْكُ مِصْر وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تجرى مِنْ تَحْتى أفلا تُبْصِرُون".(١) كما ذُكِرَ نهر النيل فى عدد من الأحاديث النبوية (٢)، منها: فُجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، والسيحان، وجيحان.(٣)

ويتناول هذا البحث الآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على تذبذب منسوب فيضان النيل فى العصر الفاطمى، والذى يُظهر مدى اهتمام الخلفاء بمتابعة قياس منسوب مياه النيل، لما يترتب على ذلك من رى الأراضى وتحديد الخراج، كما يُظهر هذا الفيضان المستحدثات التى استحدثت فى أسلوب النداء على النيل فى العصر الفاطمى، ودور الدولة فى مواجهة الأزمات الاقتصادية الناجمة عن تذبذب منسوب مياه النيل بين ارتفاع و انخفاض.

ويكشف أيضاً عن مدى تأثير النيل على الحياة الاجتماعية ، فقد كان النيل عاملاً رئيسياً فى تماسك فئات الشعب المصرى اجتماعياً على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، ويعد احتفالهم بوفاء النيل من أبرز مظاهر تماسكهم الاجتماعى. وفى المقابل كان انخفاض منسوب النيل عن الحد اللازم لرى الأراضى يؤدى إلى انتشار الآوبئة، ووقوع وفيات كثيرة.

(*) أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد – آداب الفيوم .

لمحة جغرافية عن نهر النيل :

ينبع نهر النيل من جبل خلف خط الاستواء يعرف بجبل القُمْر[٤]، ويبلغ طوله ٦٥٠٠ كم[٥]، ويمتد النيل بمصر فى مجرى واحد حتى يصل إلى قرية شطانوف، وعندها يتفرع إلى فرعين ، ينتهى الفرع الغربى منه عند مدينة رشيد ويصب فى البحر المتوسط، وينقسم الفرع الشرقى إلى قسمين: يتجه الغربى منهما إلى غرب مدينة دمياط حيث يصب فى البحر المتوسط، فى حين يتجه القسم الشرقى إلى أشمون طناح، ثم يصب فى بحيرة تنيس شرق دمياط ، وتقع بحيرة دمياط والمدينة بين هذين الشطرين[٦] .

وقد انفرد نهر النيل عن غيره من أنهار العالم بصفات متعددة منها : أنه يجرى من الجنوب إلى الشمال، وفى طقس شديد الحرارة.[٧] وأنه يطلق عليه لفظ البحر، كما جاء فى الآية رقم١٩من سورة السجدة {وَهُوَ الذي مَرَجَ البَحرَيْنِ هَذا عَذبٌ فُرَاتٌ وَهَذا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُما بَرْزَخا وحِجْرًا مَحْجُوراً}[٨] وتنطبق هذه الآيه الكريمة على نهر النيل ، فقد أطلق الله سبحانه وتعالى فيها على النهر لفظ بحر. وتعنى هذه الآية كما جاء فى تفسير الإمامين الجلالين [٩] أن الله أرسل البحرين متجاورين، أحدهما شديد العذوبة والثانى شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً لايختلط أحدهما بالآخر، وستراً ممنوعاً به اختلاطهما ، كما ذكر الله سبحانه وتعالى فى الآيتين١٩و٢٠ من سورة الرحمن:{ مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلتَقِيانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لايَبْغِيَانِ}[١٠] وتعنى أن الله أرسل البحرين العذب والملح يلتقيان فى رأى العين، ولكن بينهما حاجز من قدرته تعالى ، لا يبغى واحد منهما على الآخر فيختلط به[١١] .

يقول المقريزى:" وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره "[١٢] .

وهناك العديد من الشواهد فى العصر الفاطمى التى تؤكد ذلك منها: أن القصر الذى بناه الخليفة العزيز بالقاهرة عُرف بقصر البحر ثم أطلق عليه القصر الغربى[١٣].

أن الدخول إلى قصر الذهب[١٤] يتم من خلال بابين هما باب الذهب وباب البحر[١٥] .

كما ذكر المُسبحى أثناء تناوله أحداث شهر شوال من سنة ٤١٤ هـ /١٠٢٣م أنه كان يقيم فى دار يملكها فى شارع الحمراء الواقع على شاطىء النيل ، وكان يطلق على هذه الدار دار البحر [١٦] .

وذكر المُسبحى أيضاً أن أمير المؤمنين الظاهر كان يتنقل بين المتنزهات راكباً العُشاريات فى البحر[١٧]، وأنه ركب العُشاريات فى البحر ثم عاد إلى القصر بعد أن بلغ الجيزة [١٨] .

موضوع البحث :

حرص الفاطميون على الاهتمام بنهر النيل عن طريق مراقبة الفيضان، والوقوف على مناسيبه ارتفاعاً وهبوطاً، وذلك عن طريق مقياس النيل[١٩] لمعرفة منسوب مياه النيل الذى ينجم عنه رى الأراضى الزراعية ومن ثَم تحديد الخراج[٢٠]، وكان مقياس النيل الواقع فى النهاية الجنوبية لجزيرة الروضة [٢١] بمصر القديمة يعد من أهم مقاييس مصر[٢٢] . فهو الوحيد الذى كان مستخدماً فى العصر الفاطمى[٢٣].

ولم يكن منسوب مياه النيل ثابتاً ، فأحياناً يكون منخفضاً وأحياناً معتدلاً، وأحياناً أخرى يكون مرتفعاً، وكان النيل يستمد زيادته من الأمطار[٢٤]، وقيل إنه يستمد زيادته من الأنهار والعيون التى فى شاطئه، ولذلك تغيض الأنهار والعيون عند زيادته[٢٥] .

وغالباً ماكان ماء النيل يبدأ فى الزيادة فى الخامس من شهر بؤونة، ويتبين ذلك فى الثانى عشر منه، ثم يقاس فى السابع والعشرين منه، وينادى كذا به، ثم يبدو فيضانه فى الثانى من شهر أبيب، ويكون كمال الزيادة أى انتهاء مدة زيادته فى الثامن من شهر بابه، ثم يأخذ فى النقصان من العشرين منه[٢٦].

وتكون زيادة النيل خلال الفترة منذ بداية النداء على الزيادة فى السابع والعشرين من شهر بؤونة حتى آخر شهر أبيب، زيادة خفيفة ما بين أصبعين[٢٧] إلى نحو عشرة أصابع أو أكثر، ثم تشتد زيادة النيل فى شهر مسرى، فيزيد نحو عشرة أصابع[٢٨]، وأكثر ما تكون زيادته على القرب من الوفاء حتى ربما بلغ سبعين أصبعا[٢٩] .

وكان العامل على المقياس يقوم يومياً بقراءة المنسوب الذى وصل إليه مياه النيل، وإبلاغ الخليفة وحده بها، وذلك إذا كان المنسوب أقل من اثنى عشر ذراعاً[٣٠]. وكان يقوم أولاً بقياس قاع المقياس فى١٣ من شهر بؤونة حيث الماء القديم قبل الفيضان[٣١]، ثم ينادى عليه فى اليوم السابع والعشرين من بؤونة كالعادة دائماً، ثم يفتح الخليج الكبير إذا أكمل الماء ستة عشر ذراعاً[٣٢] .

واختلفت أساليب الإعلان عن وفاء النيل فى مصر، فقبل الفتح الفاطمى لمصر كان يتم وضع الستُر الخليفى الأسود على شبابيك المقياس، وعندما يرى الناس ذلك يعرفون أن النيل بلغ ١٦ ذراعاً، فيستبشرون خيرا، وأن هذا العام سيكون عام خصب ورخاء[٣٣] .

وهناك أسلوب أخر للإعلان عن منسوب مياه النيل وهو النداء[٣٤]، وكان من يتولى النداء بزيادة فيضان النيل يسمى باسم منادى البحر[٣٥]، وينادى على الزيادة فى السابع والعشرين من شهر بؤونة[٣٦] .

واعتبارا من بداية الزيادة يقوم صاحب المقياس بقياس منسوب مياه النيل عصر كل يوم، ثم ينادى عليه فى اليوم التالى بتلك الزيادة أصابع من غير تصريح بذراع، ويكتب يومياً رقاعاً لكبار رجال الدولة من أرباب السيوف والأقلام، مثل أرباب الوظائف من الأمراء، وقضاة القضاة من المذاهب الأربعة، وكاتب السر، والمحتسب ومَنْ فى منزلتهم. فيذكر فيه زيادة النيل فى ذلك اليوم من الشهر العربى وبما يوافقه من الشهر القبطى من الأصابع وما صار إليه من الأذرع، ثم يذكر ماكانت زيادته فى السنة الماضية، والفرق بينهما بزيادة أو نقص، ولا يُطلع على ذلك العامة[٣٧] .

ويقول المقدسى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م ، إنه كان لا ينادى على النيل إلا بعد أن يبلغ اثنى عشر ذراعاً، إلا ما يرفع إلى الخليفة فقط ، وإذا بلغ النيل اثنى عشر ذراعاً عمَّ ضيَاع الريف، فإذا بلغ النيل أربعة عشر ذراعاً سقى أسفل الإقليم ، وإذا بلغ ستة عشر ذراعاً استبشر الناس بأن هذا العام سيعُم الرخاء[٣٨] .

وقد حرص الخليفة المعز لدين الله على المحافظة على استقرار الحالة الاقتصادية للبلاد؛ لهذا أصدر أمراً عند دخوله مصر فى شهر شوال سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٢ م، بمنع النداء على النيل ، وكتمان مقدار منسوب المياه عن الجميع عدا الخليفة وجوهر الصقلى . والهدف من وراء ذلك المحافظة على ثبات سعر السلع، ومنعاً لتلاعب التجار بالأسعار، لأن النيل إذا توقف فى أيام زيادته أو زاد قليلاً، ظن كثير من التجار والأهالى زيادة منسوب ماء النيل، فيمتنع كثير من التجار عن بيع السلع رجاء أرتفاع سعرها، أما الأهالى فكانوا يخزنون الغلة ادخاراً لقوت أبنائهم أو لطلب السعر مما يؤدى إلى أرتفاع الأسعار والغلاء، ثم يبيح الخليفة النداء على منسوب مياه النيل حين يبلغ الوفاء[٣٩]، فتهبط أسعار الغلال وتظهر بالأسواق لهذا كان فى كتمان منسوب مياه النيل أعظم فائدة [٤٠] .

ويُعد منع النداء على النيل من المستحدثات التى استحدثها الخليفة المعز فى العصر الفاطمى على عكس ماكان يحدث قبل ذلك، فكان ينادى يوميا على مستوى نهر النيل. ولم تستمر سياسة كتمان النداء على النيل التى اتخذها الخليفة المعز للمحافظة على استقرار الحالة الاقتصادية للبلاد، فقد شاهد الرحالة الفارسى ناصر خسرو – عندما زار مصر فى أواخر العصر الفاطمى الأول ٤٣٩: ٤٤٢هـ / ١٠٤٧ : ١٠٥٠ م – المنادين يطوفون يومياً مُعلنين مقدار زيادة الفيضان، قائلين إن الله تعالى قد زاد النيل كذا اصبعاً، ويذكرون مقدار زيادته كل يوم . وحين تبلغ الزيادة ذراعاً كاملاً يعم الفرح الأهالى حتى تصل الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وهى الزيادة المعهودة[٤١] .

وكان يُنادى على النيل بهذه العبارة : "زاد الله اليوم فى النيل المبارك كذا وكذا، وكانت زيادته العام السابق[٤٢] فى هذا اليوم كذا وكذا ، وعلى الله التمام"[٤٣] .

ومن العبارات التى استحدثت فى النداء على النيل فى العصر الفاطمى[٤٤] " نعم لاتحصى من خزائن الله لاتفنى، زاد الله فى النيل المبارك كذا " وكان القياسون قد أعتادوا أن يفتتحوا النداء على النيل بهذه العبارة[٤٥] .

ومن أساليب النداء على النيل قيام الأشخاص المعينين بمراقبة ارتفاع الفيضان على عمود المقياس بنقل ذلك إلى مجموعة من الأولاد مهمتهم الإعلان عن ارتفاع النيل ووفائه فى سائر أنحاء القاهرة، و يميز هؤلاء الصبيان حاملى البشارة عن غيرهم منديل أصفر كانوا يتعممون به، وكان التجار والصناع والنساء يقدمون لهم الهدايا حتى نهاية الفيضان مكافأة لهم على مجهوداتهم ، وعلى البشرى بزيادة ماء النيل[٤٦] .

أما إذا زاد ارتفاع الفيضان ، وتوقع خطر غرق الأماكن المسكونة فى مصر، فكان موظفو المقياس يحذرون السكان عن طريق هؤلاء الأولاد الذين كانوا ينطلقون فى الشوارع صارخين " أيها الناس اتقوا الله من جبل إلى جبل ، وهذا يعنى أن الماء يصل إلى الجبل فى ضفة النيل ، وإلى الجبل الآخر على الضفة الأخرى ، وعندئذ يُكثر الناس من أداء الصلوات ، وتقديم الصدقات[٤٧] .

فقد كان يترتب على ارتفاع منسوب مياه النيل عن المستوى الملائم للزراعة إغراق الأراضى ، و أتلاف المحاصيل ، و قلة الخراج .

وأحياناً يزيد منسوب مياه النيل عن حد الوفاء زيادة ينجم عنها تبحر شوارع مصر حتى أنه يستحيل التنقل فى بعض المناطق إلا بالزوارق ، وكان الناس يستعدون لمواجهة هذا الفيضان بتخزين حاجاتهم من الطعام ، وتجفيف الخبز حتى لايتعفن[٤٨]. ويستمر الفيضان ما يقرب من أربعة أشهر[٤٩] .

ويرى بعض المؤرخين أن بلوغ مستوى النيل ثنتى عشر ذراعاً يعنى انخفاض منسوب مياه النيل، كما أن بلوغه ثمانية عشر ذراعاً يعنى ارتفاع منسوب مياه النيل- وهو ما يعرف بالفيضان العالى أو الاستبحار- وفى كلتا الحالتين يتأثر اقتصاد البلاد، فتُصاب بالقحط الذى غالباً ما يصاحبه الوباء، وأيضاً يتأثر الخراج ، الذى يُعد

المصدر الرئيسى للدخل فى الدولة ، ولا يجب الخراج على الناس إلا إذا أوفى النيل الحد المناسب للزراعة ستة عشر ذراعاً، وهو ما يُطلق عليه بلوغ النيل حد الوفاء(٥٠) .

و كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بوفاء النيل إذا بلغ منسوب مياه النيل ستة عشر أو سبعة عشر ذراعاً، أما إذا قل النيل عن ستة عشر ذراعاً فإنه يُعد مقصراً، وإذا زاد منسوبه عن سبعة عشر ذراعا فإن الفيضان يُعد خطراً(٥١). وفى الواقع لا نستطيع أن نحدد حد وفاء النيل الملائم للزراعة، فلم تكن درجة وفاء النيل ثابتة ، لكن متغيرة من فترة لأخرى، فكان حد وفاء النيل ١٦ ذراعاً حيناً، و ١٨ ذراعاً حيناً آخر، وهناك دلائل تؤكد ذلك منها:

أن النيل إذا بلغ ١٦ ذراعاً استبشر الأهالى خيرا ، وأيقنوا أن هذا العام سيكون عام خصب ورخاء ، وكان ذلك قبل الفتح الفاطمى لمصر(٥٢) .

وقد بلغ منسوب ماء النيل سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعاً، وكان القاع فى تلك السنة ثلاثة أذرع وتسع عشر إصبعاً(٥٣)، وذلك فى سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٩م التى نجح فيها الفاطميون فى دخول مصر بقيادة جوهر الصقلى، وعلى الرغم من أن منسوب النيل بلغ سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعاً إلا أن المؤرخين يذكرون أن الأزمة الاقتصادية التى واجهها جوهر، واستمرت تسع سنوات منذ سنة ٣٥٢هـ/ ٩٦٣ م حتى ٣٦١ هـ / ٩٧٠ م ، سببها قصور مد نهر النيل (٥٤) .

وإن دل هذا على شىء فإنما يدل على ارتفاع حد الوفاء أعلى من سبعة عشر ذراعا .

ويذكر لنا شاهد عيان - وهو الرحالة ناصر خسرو- الذى زار مصر خلال الفترة من ٤٣٩ : ٤٤٢ هـ / ١٠٤٧ : ١٠٥٠ م - أى خلال عهد المستنصر بالله الفاطمى - أن الخليفة لا يأخذ الخراج إلا إذا بلغ النيل ثمانية عشر ذراعاً(٥٥) . ويدل هذا على أن درجة وفاء النيل أصبحت ثمانية عشر ذراعاً فى عهد المستنصر بالله الفاطمى . ومما يؤكد هذا ماذكره المقريزى فى أحداث سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤م ،

فيقول قصر مَد النيل[٥٦]، علماً بأن مستوى النيل بلغ فى هذا العام سبع عشرة ذراعاً وأربع أصابع[٥٧] . و يدل هذا على أن حد الوفاء كان أعلى من سبع عشرة ذراعاً .

فى حين يذكر د. أيمن فؤاد أن أول إشارة إلى أن درجة وفاء النيل ستة عشر ذراعاً ترجع إلى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م ، وكان ابن أبى الرّداد [٥٨] لا يبيح بمنسوب ماء النيل إلا إلى الخليفة ثم الوزير ، حتى يصل المنسوب إلى ذراع الوفاء ، وهو السادس عشر ، إلى أن يبقى منه إصبع أو إصبعان[٥٩].

وقد كان ماء النيل القديم فى سنة ٥١٧ هـ / ١١٢٣م أى مبلغ ما استقرت عليه أذرع القاع ثمانية أذرع وعشرة أصابع، مبلغ الزيادة ثمانية عشر ذراعاً وعشرة أصابع[٦٠] .

ونستخلص مما سبق أن حد وفاء النيل فى العصر الفاطمى بلغ ١٨ ذراعا. وعلى الرغم مما ذكرناه سابقاً، فقد كان الخلفاء يحتفلون بوفاء النيل عندما يبلغ ستة عشر ذراعاً، ويبدو أن إقامة الاحتفال عندما يبلغ منسوب ماء النيل ستة عشر كان عادة لدى الخلفاء، ففى٤ من شهر رجب من سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م احتفل الخليفة الظاهر بوفاء النيل، لأنه بلغ ستة عشر ذراعاً[٦١].

الآثار الاقتصادية السلبية :

ما إن نجح الفاطميون فى بسط سيطرتهم على مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩م ، حتى واجهتهم أزمة اقتصادية استمرت ثلاث سنوات نتيجة قصور فيضان النيل ، كان من آثارها ندرة المواد الغذائية وارتفاع الأسعار[٦٢] .

كما ارتفعت الأسعار فى سنة ٣٨٦ هـ / ٩٩٦م[٦٣] ، وكان منسوب ماء النيل قد بلغ فى تلك السنة خمسة عشر ذراعا وثلاثة وعشرين إصبعاً[٦٤] ، واستمر الغلاء؛ واشتد فى شهر محرم من سنة ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م[٦٥] ، وبلغ النيل فى هذه السنة ستّة عشر ذراعاً وسبعة أصابع[٦٦] وكان من مظاهر تأثيره السلبية أن ارتفع سعر القمح وعز وجوده ، وارتفع نتيجة لذلك سعر الخُبز[٦٧] ، وكان ذلك فى عهد الخليفة الحاكم بأمرالله (٣٨٦: ٤١١هـ/ ٩٩٦ : ١٠٢٠م).

وسرعان ما ساءت أحوال مصر الاقتصادية خلال الفترة الممتدة من ٣٩٥هـ / ١٠٠٤م إلى ٣٩٩هـ / ١٠٠٨م ، وأخذت الحالة الاقتصادية تشتد فى سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م الموافق التاسع من شهر توت[٦٨] ؛ نظراً لبلوغ منسوب مياه النيل أربعة عشر ذراعاً [٦٩] . ووصل المنسوب بعد فتح الخليج إلى ستة عشر أصبعاً من خمسة عشر ذراعاً ، ثم نقص منسوب مياه النيل ، ولم يذكر المقريزى المقدار الذى وصل إليه منسوب مياه النيل ، فبدأ تكالب الأهالى على شراء الغلال مما أدى إلى ارتفاع الأسعار[٧٠].

وفى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م ، نقص منسوب مياه النيل ، فقد بلغ النيل أربع عشرة ذراعاً وتسعة أصابع[٧١]، فاشتد الغلاء ، وصاحبه ظاهرة الغش فى إنتاج الخبز الذى أصبح وجوده نادراً ، وإذا وجد كان مخالفاً للمواصفات فهو أسود اللون باهظ الثمن ، ورفع الأهالى شكواهم إلى الخليفة الحاكم بأمر الله ، وأرفقوها برغيف[٧٢] .

وشهدت سنة ٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨ م ارتفاعاً جديداً فى الأسعار نظراً لتناقص منسوب ماء النيل قبل أن يوفى ستة عشر (١٦) ذراعا[٧٣] .

وعلى الرغم من ارتفاع أسعار الخبز وندرته وقلة المؤن ، فإن الخليفة الحاكم بأمر الله أصدر قراراً فى المحرم من سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٢م ، بمصادرة جميع ماعند التجار من العسل، وأتلف فى أربعة أيام خمسة آلاف وواحداً وخمسين زيراً من العسل، وذلك خوفا من استخدامه فى صناعة النبيذ[٧٤] .

وقد ارتفع منسوب مياه النيل فى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م ، وبلغ واحداً وعشرين ذراعاً و ثلاثة أصابع[٧٥]. وقد ترتب على هذه الزياده حدوث فيضان كبير، أغرق المقياس، وهلكت الزراعات والبساتين، وأدى إلى زيادة الأسعار[٧٦].

وبعد أن آلت الخلافة إلى الظاهر (٤١١ : ٤٢٧ هـ /١٠٢٠ : ١٠٣٥م) انخفض ماء النيل انخفاضاً شديداً ، فقد انتهت زيادة النيل فى العام ٤١٤ هـ /

١٠٢٣ م إلى أربعة عشر ذراعاً وإصبعٍ واحد[٧٧]، وبلغ من شدة انخفاضه عدم ري الأراضي الزراعية[٧٨] .

ثم عادت الأزمة الاقتصادية فى العام ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، عندما انخفض النيل فى شهر ربيع الأول انخفاضاً لم يصل إليه فى السنوات السابقة[٧٩]، وقد ترتب على هذا النقصان غلاء أسعار السلع[٨٠]، لاسيما بعد أن صدرت الأوامر بنقل القمح الذى وصل إلى ميناء الفسطاط إلى ميناء المَقْس[٨١] بالقاهرة، ونقل جميع ماتحمله من قمح إلى قصر الخليفة[٨٢] .

وارتفعت أسعار السلع مرة ثانية فى عهد الخليفة الظاهر فى شهر رجب من سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م ، وازدادت أسعار الخبز سواء الخبز الخشكار وهو المصنوع من أردأ أنواع الدقيق[٨٣] ، أو الحُوّارى وهو الخبز المصنوع من الدقيق الأبيض الذى يسمى بالخبز الحوارى[٨٤]، ولم ترتفع أسعار الخبز فقط فقد تعذر وجوده، مما أدى إلى غلق الطواحين والمحلات[٨٥] .

واستمرت الأزمة حتى شهر شوال من سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤م وقد زاد الغلاء، ويبرهن على غلاء الأسعار وندرة السلع أنه عند قيام بعض المواطنين ببيع ممتلكاتهم فى الأسواق، لم يكن هناك من يشترى ولو بأقل الأثمان[٨٦] .

ومما يؤكد سوء الحالة الاقتصادية خلال تلك الفترة الأساليب المتعددة التى اتخذها متولى الصناعة الشريف أبو طالب العجمى[٨٧] لتدر عليه دخلا إضافياً، ومن هذه الأساليب أنه كان يُلزم أهل الغريق فى النيل بدفع مبلغ مالى- يعرف بواجب الصناعة-حتى يسمح لهم باستلام الغريق لدفنه، وخير دليل على ذلك الحادثة التى حدثت فى ربيع الآخر من سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[٨٨] .

والأدهى من ذلك أن العاملين فى الصناعة كانوا يمنعون القوارب من إنقاذ أى شخص يتعرض للغرق؛ ليحصلوا على الرسوم التى حددها متولى الصناعة محمد الحسنى العجمى، وهى ديناران ونصف على كل غريق. وما أن علم الخليفة الظاهر بذلك حتى ألغى قرار متولى الصناعة ، ومنع أخذ أية رسوم مالية فى هذا الشأن ،

وأعلن ذلك من خلال منشور[٨٩] قرأه خطيب الجامع العتيق فوق المنبر، وذلك فى جمادى الأولى ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م، فكثر الدعاء للخليفة الظاهر[٩٠] .

وتتضح لنا مدى ماوصلت إليه الحالة الاقتصادية من تدهور أنه لم يعد لدى الشيخ العميد محسن ابن بدواس ، صاحب بيت المال ، سوى القليل من الأموال المخصصة لمُهمات الخليفة . فاقترح الشريف العجمى- متولى الصناعة- على صاحب بيت المال أن يقترض من التجار، أو يصادر من تجب مصادرته منهم ، ليُنْفَق فى الرجال ، فأجاب الشيخ نجيب الدولة أبى القاسم الجرجرائى : " وأى مال مع الرجال وتجار مصر هَلْكَى من الغلاء"[٩١] .

ولما آلت الخلافة إلى المستنصر بالله (٤٢٧: ٤٨٧هـ/١٠٣٥ : ١٠٩٤م) حدثت عدة كوارث اقتصادية ؛ لانخفاض فيضان النيل أحياناً، ولارتفاع فيضان النيل أحياناً أخرى ، وكان أكثرها شدة المجاعة التى استمرت سبع سنين من ٤٥٧ هـ / ١٠٦٥م إلى ٤٦٤هـ / ١٠٧١ م وعرفت بالشدة العظمى ، وسببها إنخفاض مياه النيل عن القدر اللازم لرى الأرض[٩٢]. وقد ترتب عليها ارتفاع أسعار الحبوب[٩٣]. وفى العام ٤٨١ هـ/١٠٨٨م غرقت الأراضى الزراعية، وهلكت الغلات والمحاصيل والمخازن من كثرة المياه ، فقد بلغ النيل فى هذا العام ثمانى عشرة ذراعاً وأربع أصابع[٩٤]، كما حدث فى عهد الخليفة المستعلى بالله فى عام ٤٩٠ هـ / ١٠٩٦م غلاء استمرت مدتة ستة أشهر على أثر هبوط مفاجىء فى منسوب النيل، ولم يتمكن المزارعون من رى أراضيهم بالماء اللازم لها[٩٥] .

الآثار الاجتماعية :

وقد أثرت الأزمات الاقتصادية المترتبة على تذبذب منسوب النيل على مناحى الحياة الاجتماعية ، فسادت الفوضى ، وقلت المؤن ، وزادت المجاعات ، وانتشرت الأوبئة . وعلى الرغم من أن المصادر التى تم الاطلاع عليها لم تذكر حدوث أزمات اقتصادية فى عهد الخليفة العزيز بالله الفاطمى (٣٦٥ : ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ : ٩٩٦م)، فإننا نستشف من خلال الأحداث وقوع أزمة اقتصادية ، فقد ذكر المقريزى أنه فى

سنة ٣٦٨ هـ / ٩٧٨ م بلغ منسوب مياه النيل خمسة عشر ذراعاً وتسعة عشر إصبعاً، وانتشر وباء شديد فى مصر أسفر عن وفيات لاحصر لها ، فقد دُفن من موظفى الدواوين سبعة آلاف وسبعمائة وستون " سوى من لم يعلم بموته ، أما من دُفن بلا كفن فكثير" [٩٦]. وانتشار الوباء يدل على حدوث أزمة اقتصادية ؛ ذلك أن ندرة

١٠٠٧،١٠٠٨ م ، تناقص منسوب ماء النيل قبل أن يوفى ستة عشر ذراعا ، فزادت الأمراض وقلّت الأدوية ، وزاد- من ثم - عدد الموتى[٩٧] .

وقد اتخذ الخليفة الحاكم بأمر الله عدة إجراءات للتصدى لهذه الأزمة ، فأمر فى سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م بمنع الناس من التظاهر بالغناء ، ومن ركوب البحر للتفرج [٩٨] ، كما أصدر مرسوماً فى التاسع من ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ / ١٠٠٨ م بمنع الاحتفالات التى كانت تقام سنوياً مع سماط النحر[٩٩] .

وفى المحرم ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م قلت المؤن[١٠٠] ، وبلغ النيل فى هذه السنة سبعة عشر ذراعاً واثنى عشر إصبعاً[١٠١] .

كما بلغ منسوب مياه النيل فى المحرم من سنة ٤٠٤ هـ /١٠١٣م أربعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع ، وهذا يعنى أن النيل لم يصل حد الوفاء ، وتصدق الخليفة الحاكم بأمر الله بالكثير من الأموال فى شهر رجب و ليلة النصف من شعبان كى يخفف من آثار هذه الأزمة[١٠٢]. ولم تكن عطاءات الخليفة الحاكم بأمر الله وقفاً على هذا العام ، فقد زادت عطاءاته فى العام الآتى، خاصة فى شهر رمضان من سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م[١٠٣] .

وقد انخفض ماء النيل فى عهد الخليفة الظاهر انخفاضاً شديداً فى العام ٤١٤هـ/ ١٠٢٣ م ، إذ انتهت زيادة النيل إلى أربعة عشر ذراعاً وإصبعٍ واحد[١٠٤]، وتكالب الأهالى على شراء الغلال، وأختفت السلع ، وتعذر وجود الخبز[١٠٥].

وبلغ من شدة انخفاض ماء النيل أن خرج الأهالى إلى الجبل – فى أخر جُمادى الآخرة من سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣م – يبتهلون إلى الله ، ويدعونه أن يغيثهم ، ويصرف عنهم هذا البلاء[١٠٦] .

واستمرت الحالة الاقتصادية سيئة فى سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م ، واقترنت بانتشار الأمراض ، وكثرة الوفيات بين الأهالى [١٠٧] .

وخير دليل على زيادة الغلاء والقحْطُ فى عهد الخليفة الظاهر ، اضطرار بعض الأهالى إلى أكل الكلاب فى الثالث عشر من ذى القعدة سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م[١٠٨] .

وقد بلغت المجاعة أشدها فى شهر ذى الحجة من سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ، ونزلت بالناس مَسْغَبَة شديدة [١٠٩] ، لم يُر مثلها من زمن بعيد ، فكان الناس يموتون من شدة الجوع[١١٠] .

وقد دفع الغلاء – خلال تلك الفترة [١١١] – العبيد إلى سلب ما يجدونه من الغلال ونهبه[١١٢] .

كما أدى نقص مياه النيل فى عهد الخليفة المستنصر بالله إلى حدوث عدة مجاعات[١١٣]. كان من أشدها الأزمة التى امتدت من سنة ٤٤٦ : ٤٥٤ هـ/ ١٠٥٥: ١٠٦٣ م ؛ نتيجة انخفاض ماء النيل فى مصر، وعدم وجود فائض غلة احتياطى فى مخازن الدولة[١١٤]، فانتشر فى البلاد القحط والوباء [١١٥] .

كما تعد الأزمة الاقتصادية التى امتدت من العام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م إلى ٤٦٤هـ / ١٠٧١م، وعرفت بالشدة العظمى من أكبر الأزمات والمجاعات التى تعرضت لها مصر[١١٦] وقد اقترنت الشدة العظمى بانتشار الأوبئة[١١٧] التى أدت إلى وفاة كثير من أهالى مصر فى الريف أو المدن [١١٨] .

ومن المستحدثات التى تمت فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥ : ٥٢٤هـ/ ١١٠١ : ١١٢٩ م) تحديد يوم للاحتفال بفتح خليج أبى المِنْجَا الذى تم البدأ فى حفره سنة ٥٠٦هـ / ١١١٢م، فابتنى الوزير المأمون بن البطائحى– الذى استمر فى

الوزارة من سنة ٥١٥ : ٥١٩ هـ / ١١١٢ : ١١٢٥ م – منظرة متسعة ينزل فيها عند فتحه[١١٩]، وكان سد بحر أبو المِنْجَا يفتح فى أول يوم من شهر توت حرصاً على رى البلاد[١٢٠] .

كما تم فى وزارة المأمون البطائحى سنة ٥١٧ هـ / ٨٢٣ م استحداث الاحتفال بتخليق المقياس[١٢١].

جهود الفاطميين فى مواجهة الأزمات الاقتصادية :

حرصت الخلافة الفاطمية على التصدى للأزمات الاقتصادية الناجمة عن انخفاض أو ارتفاع منسوب نهر النيل و المتمثلة فى ندرة الأقوات وارتفاع الأسعار وما يعقبها من انتشار الأوبئة ، وذلك عن طريق :

أولاً: الاهتمام بمشروعات الرى ، وإقامة الجسور والسدود وحفر الترع .

بذل حكام مصر محاولات متعددة للحفاظ على مياه النيل ، والاستفادة منها وقت الشدة ، فقيل إنه تم تخصيص ربع خراج مصرسنوياً – وقيل ثلث خراجها – لعمارة جسورها والعناية بها ، مما يترتب عليه إمكانية رى كل أراضى مصر، وبعد أن تروى ناحية من النواحى يقطع أهلها الجسور المحيطة بها لتروى الجهة التى تليها مستخدمين فى ذلك الجسور والترع والخلجان[١٢٢] .

وقد حرصت الخلافة الفاطمية على تعميق الترع والقنوات ، والمحافظة على الجسور المقامة على النيل وصيانتها لمنع تسرب المياه إلى النهر ، والحفاظ عليها فوق سطح الحياض .

وكان هناك نوعان من الجسور: الأولى : الجسور السلطانية ، وتشرف عليها الحكومة لحفظ ماء نهر النيل على كافة البلاد حتى يتم الاستفادة منه . والثانية : الجسور البلدية ، ويتولى إقامتها الأهالى والمتقبلون[١٢٣] على نفقتهم الخاصة ، لخدمة الأراضى التابعة لهم فقط . ويُشبه ابن مماتى الجسور السلطانية بالسور المُكلف الحاكم بإقامته لحماية المدينة ، أما الجسور البلدية فهى بمثابة المساكن الواقعة داخل

السور كل صاحب مسكن عليه أن يُدبر أمره فيه[١٢٤]، ويخُصم ما تم صرفه على الجسور البلدية من الخراج المقرر عليهم دفعه[١٢٥] .

ومن الإجراءات التى اُتخذت لمواجهة الأزمة الاقتصادية فى أيام جوهر الصقلى تجديد جسور النيل والقناطر[١٢٦] .

كما بلغ منسوب مياه النيل فى المحرم من سنة ٤٠٤ هـ /١٠١٣م أربعة عشر ذراعاً وثمانية أصابع[١٢٧]، ويعنى هذا أن النيل لم يصل حد الوفاء ، لهذا اتخذ الخليفة الحاكم بأمر الله عدة إجراءات للتصدى لهذه الأزمة، منها إصدار أمر بتطهير خليج الإسكندرية[١٢٨] الذى يُغذى عددا كبيرا من الترع فى البحيرة، و كان هذا الخليج قد سُد تماماً، خاصة فى الجزء الأول عند خروجه من فرع رشيد ، وكان لهذا المشروع أثر كبير فى تسهيل الرى ، وبلغ ما أنفقته الدولة على هذا المشروع خمسة عشر ألف دينار[١٢٩] .

وقد حرص الخليفة الحاكم بأمر الله على التصدى للأزمة الاقتصادية التى تعرضت لها البلاد ، لهذا عندما وصل إلى مسامعه أن الحسن بن الهيثم البصري يقول : " لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملاً يحصل به النفع فى كل حالة من حالاته من زيادة ونقص"، فأرسل يستدعيه ، وأمده بما طلب من أموال وعمال ومساعدين لتنفيذ أفكاره ، فأخذ ابن الهيثم يتنقل بين مدن مصر حتى وصل إلى جنادل أسوان[١٣٠]. ويبدو أنه لم يوفق فى تنفيذ مشروعه ، فادعى الجنون خوفاً من بطش الحاكم بأمر الله، فحدد الخليفة إقامته فى منزله ، وظل على ذلك إلى أن اختفى الحاكم بأمر الله، فأظهر العقل ثانية ، وخرج من داره ، ثم توفى بعد سنة ٤٣٠ هـ / ١٠٤٠م بالقاهرة [١٣١] . وبهذا يعد الحسن ابن الهيثم هو أول من فكر فى إقامة مشروع لتنظيم فيضانات النيل .

وقد حرص الخليفة الفاطمى الظاهر لإعزاز دين الله على الحفاظ على مقياس النيل نظراً لكونه المؤشر لارتفاع أو انخفاض نهر النيل ، ومن خلاله يُمكن حساب كمية المحاصيل التى سوف تزرع فى الفصل اللاحق ، وتوقع حجم الفيضانات[١٣٢] ؛

لذا أمر بإحاطته بحائط من الحجر الأبيض ، وتم هذا البناء فى ربيع الأول من سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م على يد متولى الصناعة الشريف أبى طالب بن العجمى ، وقد أنفق على هذا البناء من مال أمير المؤمنين الكثير من الأموال[١٣٣] .

وحرص أيضاً الخليفة الظاهر على نظافة مقياس النيل ، فخصص للمشرف على المقياس خمسين ديناراً سنوياً[١٣٤] لكنس المجارى[١٣٥]، والإشراف على نظافة قاع مقياس النيل ومجاريه من طمى النيل ورواسبه حتى لا تتأثر قراءة المقياس إذا حدث سدد فى هذه المجارى[١٣٦] ، واعتمدت هذه الرسوم التى تم تخصيصها لكنس مجارى الماء فى عهد الدولة الفاطمية[١٣٧] .

وقد حدث أن أهمل المشرف على المقياس على ابن أبى الردَّاد نظافة مجارى المقياس مما أدى إلى حدوث سدد أثر على قراءة منسوب ماء النيل ، فاسند قاضى القضاة مهمة التأكد من تهاون ابن أبى الرداد فى عمله إلى اثنين من المُشرفين، فوجدا انسداد مجارى المياه ، ووصول الماء إلى حد معين، فلما نُظفت المجارى ارتفع الماء إلى حد أكثرمن الحد الذى كان عليه ، وما أن علم الشريف أبو طالب بن العجمى، صاحب الصناعة، بما حدث حتى عاقب ابن أبى الرداد بالضرب والاعتقال، وكان ذلك فى سنة ٤١٥ هـ /١٠٢٤ م فى عهد الخليفة الظاهر[١٣٨] .

وقد اهتم الأفضل بن بدر الجمالى أثناء وزارته للخليفة الآمر بأحكام الله بتنظيم الرى ، ففى سنة ٥٠٢ هـ / ١١٠٨ م جدد حفر خليج أمير المؤمنين[١٣٩] وولى عليه والياً ، ومنع الناس من إلقاء أى شىء فيه[١٤٠]. كما أمر الأفضل فى سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢م بحفر خليج يخرج من النيل لرى الأراضى الواقعة شرق فرع دمياط ؛ وذلك لأن الماء كان لا يصل إلى الشرقية إلا من خليج السَّرْدُوس[١٤١]، أو من غيره من الأماكن البعيدة ، فطلب المزارعون فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه إليهم ، واستمر الحفر فى هذا الخليج سنتين، وانفقت عليه أموال كثيرة غير ان مانفق عليه يهون أمام نتائجه ، فقد ضاعف من دخل البلاد، وقد عُرف هذا الخليج بخليج أبى المِنْجَا نسبة إلى أبى المنجا شعيا اليهودى الذى أشرف على حفر الخليج ، فقد كان

يتولى ديوان جهات الدلتا الشرقية فى عهد وزارة الأفضل ، كما عُرف هذا الخليج بالبحر الأفضلى لكن غلبت عليه تسميته بخليج أبى المِنْجَا[١٤٢] .

ثانياً : تخفيف الضرائب ــ محاربة الأحتكار ــ مراقبة الأسواق .

واجه القائد جوهر الصقلى (٣٥٨ : ٣٦٢ هـ / ٩٦٩ :٩٧٣ م) أزمة أقتصادية عند دخوله مصر، نظراً لقصور مَد النيل ، واستمرت هذه الأزمة تسع سنوات منذ سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م حتى ٣٦١ هـ / ٩٧٠ م ، أى استمرت لمدة ثلاث سنوات بعد الفتح الفاطمى لمصر[١٤٣]، لهذا اتخذ القائد جوهر عدة خطوات للتصدى للأزمة الاقتصادية ، والقضاء على المجاعة منها:

إغراق الأسواق بالقمح الذى أتى به من بلاد المغرب محملاً على السفن، ويوضح هذا أن جوهر الصقلى كان على علم بالأزمة الاقتصادية مما جعله يحرص على جلب كمية كبيرة من القمح معه[١٤٤] .

كما أسند جوهر الصقلى أمر الحسبة إلى سليمان بن عَزَّة المغربى سنة ٣٥٩هـ /٩٧٠م، لمعالجة مشكلة ارتفاع الأسعار. ذلك أنه على الرغم من إغراق الأسواق بالقمح، فإن الأسعار ظلت مرتفعة، فقام المحتسب الجديد بالضرب بشدة على أيدى التجار[١٤٥]، كما أمر بتنفيذ عقوبة الضرب والتشهير بجماعة من الطحانين فى سنة ٣٥٩ هـ / ٩٧٠م[١٤٦] لاحتكارهم القمح، وذلك ليكونوا عبرة لغيرهم . ويبدو ان الضرب والتشهير كانا من عقوبات الاحتكار الناجمة عن انخفاض أو ارتفاع منسوب ماء النيل .

كما جمع المحتسب سليمان بن عَزَّة المغربى القماحين وسماسرة الغلال للبيع فى سوق واحد مُحكم ، ولم يكن لهذا السوق إلا طريق واحدة ، وذلك حتى تسهُل مراقبتهم[١٤٧]، فكان لايباع قدح غلة إلا ويقف عليه سليمان بن عزة المحتسب[١٤٨]، ويقول المقريزى :" فهذا التدبير على بساطته سهل عسرة الناس بعض الشىء ، ورد عنهم كثير من مآسى الفاقة "[١٤٩] .

وبهذا نجح القائد جوهر الصقلى فى انقاذ الناس من المجاعة التى أضرت بهم منذ أواخر العصر الإخشيدى ، فبدأت الأحوال العامة تتحسن ، وبوادر الرخاء تظهر فى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م[١٥٠] . فقد ساعدت هذه الخطوات على القضاء على التلاعب فى الأسعار .

وقد حدثت أزمة اقتصادية فى عهد الخليفة العزيز بالله ، يؤكد هذا أن الخليفة امر فى سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣ م بحذف مصروفات مؤونته ومطابخه وموائده ، وقال : " أشبع أنا وتجوع الناس ، أطلقوا أرزاق الناس على الأدوار فقد كدت أن أعطل المائدة "[١٥١] .

وكان منسوب ماء النيل قد بلغ فى سنة ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ م سبعة عشر ذراعاً وواحداً وعشرين إصبعاً [١٥٢] .

ويتضح لنا مما سبق مدى حرص الخليفة العزيز بالله على مواجهة الأزمة الاقتصادية التى حلت بالبلاد .

كما تصدى أيضاً الخليفة الحاكم بأمرالله لظاهرة ارتفاع الأسعار التى بدأت مع بداية حكمه، فأصدر الأوامر بمنع بيع القمح لغير الطحانين[١٥٣]. وتصدى لظاهرة الغش فى إنتاج الخبز الناجمة عن نقص منسوب مياه النيل ، فأمر فى شهر المحرم ٣٩٨هـ/١٠٠٧م بضرب جماعة من الخبازين والتشهير بهم؛ لأنهم كانوا يبيعون الخبز بعد بله، ويعد بلُّ الخبز من وسائل الغش ؛ لأن التعامل فيه كان بالوزن[١٥٤] .

وقد قام الخليفة الحاكم بأمر الله ، نظراً لظروف البلاد الاقتصادية ، بتهديد كل من يقوم بإخفاء الغلة[١٥٥] وفى ذى القعدة من هذا العام (٣٩٨ هـ / ١٠٠٧م) أصدر قراراً بإيقاف المكوس والمؤن التى تؤخذ من المسافرين عن الغلال والأرز . و فى ذى القعدة من العام (٣٩٩ هـ/ ١٠٠٨ م) أُعيدت المكوس التى كانت قد رفعت[١٥٦] .

كما أصدر فى رجب سنة ٤٠٢ هـ/١٠١١ م أمراً بمنع ارسال كمية الخبز والحلوى المخصصة لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والأنصاف خلال الثلاثة أشهر، كما قُرىء سجل فى القصر فى الشهر نفسه والسنة نفسها ، بألا يلتمس أحد من

أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله زيادة رزق ، ولا صلة ، ولا إقطاع ، ولاغير ذلك من المنافع . كما أصدر أمراً فى شهر شعبان من العام نفسه ٤٠٢هـ/١٠١١ م بمنع الناس من حمل الأقوات إلى مكة[١٥٧] . هذا بالرغم من بلوغ فيضان النيل ستة عشر ذراعا وعشرة أصابع[١٥٨]، ويبدو أنها إحدى قرارات الحاكم الغامضة ، أو أن وفاء النيل كان أكثر من١٦ ذراعاً .

وبلغ النيل فى المحرم ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م سبعة عشر ذراعاً واثنى عشر إصبعاً[١٥٩] ، فقام الخليفة الحاكم بأمر الله ، برفع مكوس الساحل ، وبتوزيع الأموال على الفقراء وذلك حتى يتصدى للأزمة الاقتصادية التى أسفرت عنها قلة المؤن[١٦٠].

وأصدر أيضاً الخليفة الحاكم بأمر الله فى رجب من سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م عدة قرارات بإلغاء كثير من المكوس التى كانت قد ابتدعت ، مثل : مكَس الرُّطب ، ومكس دار الصابون ، ومكس بعض السلع التجارية التى كانت تصل بحراً إلى مدينة القلزم[١٦١] .

وحتى يقضى الخليفة الحاكم بأمر الله على نظام الاحتكار كان يقوم بعملية اقتحام مفاجىء للمخازن والمنازل للبحث عن القمح ، وتوزيعه على الطحانين بالسعر الرسمى ، كما أصدر قراراً بإعدام وحرق كل منزل يثبت أن صاحبه أحتفظ فيه بغلة، فأسرع كل من لديه شىء من الغلة بإخراجها فى الطرقات[١٦٢] .

وعند حدوث الأزمة الاقتصادية فى عهد الخليفة الظاهر نتيجة الانخفاض الشديد لماء النيل فى سنة ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م أمر الخليفة الظاهر بفتح مخازن جماعة من رجال الدولة ، وتوزيع مابها من غلال على الفقراء[١٦٣]، كما استدعى المحتسب دوأس بن يعقوب[١٦٤] الكُتامى ، الخبازين ، وشدد عليهم ، وضرب قوماً منهم وشهرهم ؛ نظراً لرفعهم الأسعار، مما أدى إلى ظهور الخبز، واستقرت أمور الدولة[١٦٥] .

وعندما ارتفعت أسعار السلع مرة ثانية أصدر الخليفة الظاهر أمراً بعزل متولى الحسبة[١٦٦] عن الحسبة والشرطة بعد يوم واحد من تعينه ، وأعيد " دَّواس بن يعقوب الكتامى " والى للحسبة ، وتم تسعير الخبز الذى يباع فى الأفران ، أما بقية الأخباز فتباع بدون تسعير، وقد أدت هذه السياسة إلى ظهور الأخباز بالأسواق[١٦٧] .

وعلى الرغم من الغلاء والقحط الذى حدث فى ذى القعدة من سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م ، فإن الخليفة الظاهر لم يقلل من تكاليف مواكبه واحتفالاته ، ففى منتصف شهر ذى القعدة ركب الخليفة الظاهر إلى مدينة الفسطاط للنزهة، فاستغاث به الأهالى، فأمر الخليفة باستدعاء دوَّاس بن يعقوب الكتامى متولى الحسبة وتهديده ، وقيل له : " قد قتلت الناس جوعاً وفتَنتَ البلاد على مولانا ، وهذا خطُّك بضمانك عمارة البلد بالأخباز والقمح إلى حين إدراك الغلَّة ". فتعهد دوَّاس المحتسب بتدارك الأمر، وأحضر حمالى القمح والسماسرة إلى المخازن ، وهددهم ، وضرب بعضهم بالدِرَّة ، وأمرهم بإحصاء مخازن الغلال، فكتبوا له مائة وخمسين مخزناً للقمح ، فقام بتشميعها ، وهدد بقطع يد كل من يحاول بيع شىء من هذه المخازن. ثم استدعى الخليفة الظاهر دواس المحتسب وهدده ، فأسرع دواس وأطلق القمح من المخازن للطحانين، وحدد أسعار السلع حتى لايحدث تلاعب فى الأسعار، مما أدى إلى سكون ثورة الأهالى قليلاً [١٦٨] .

وفى يوم الاثنين لسبعة ليالٍ بقين من ذى القعدة سنة ٤١٥ هـ/ ١٠٢٤م ، نزل دَوَّاس بن يعقوب من القاهرة ومعه سجل من أمير المؤمنين الظاهر قُرىء فى شوارع مصر، وتضمن تخفيض جميع المكوس من سواحل مصر على جميع أصناف الغلال، وذلك للتخفيف عن أهلها . وأن يبيع الناس كما يؤثرون بغير تسعير وقد ترتب على موقف الخليفة من الضرائب أن أصبحت الأخباز وكذلك الدقيق كثيرة ومتوفره فى الأسواق[١٦٩] .

ولم تلتزم جماعة من التجار بما جاء فى السجل[١٧٠]، فرفعوا الأسعار، وغشوا الدقيق ، فعاقبهم المحتسب دوَّاس بن يعقوب الكتامى بالضرب والتشهير، وطاف بهم

على الجمال فى شوارع مصر ، وكانت عدتهم اثنين وعشرين رجلا، ثم أمر بسجنهم، وذلك فى شهر ذى القعدة من سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م[١٧١] .

وقد تم مواجهة الازمة الاقتصادية التى تعرضت لها مصر نتيجة انخفاض ماء النيل فى سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٥ م و امتدت إلى٤٥٤ هـ / ١٠٦٣م، بإصدار الوزير اليازوري أمر بمصادرة الغلال الموجودة بمخازن التجارالمرابين ونقلها إلي مخازن الدولة، وأعطي كل تاجر ثُمن دينار ربحاً عن كل دينار دفعه. ووزع اليازوري هذه الغلال علي الخبازين في مصر والقاهرة بمعدل ألف تليس[١٧٢] يوميا بعد أن حدد سعر التليس بثلاثة دنانير فقط ، وبهذا وفر للشعب حاجة الاستهلاك اليومي، واستمر علي هذا عشرين شهراً حتى ظهر المحصول الجديد مما قلل من حدة المجاعة[١٧٣] وخفض الأسعار[١٧٤] .

وحرص الوزير بدر الجمالى على زيادة المحصول، والقضاء تماماً على آثار الشدة العظمى، وكان المزارعون قد هجروا أراضيهم، فأعفاهم من دفع الخراج مدة ثلاث سنوات؛ فعاد المزارعون إلى أراضيهم وتحسنت أحوالهم خلال هذه الفترة؛ وقام فى السنة الرابعة بجباية نصف الخراج، ثم صار بعد ذلك يجبى الخراج كاملاً بعد أن عُمرت الأرض كلها[١٧٥]، فازدهرت الزراعة، وتحسنت أحوال الفلاحين بعد أن رفع عن كاهلهم بعض الأعباء المالية، وزاد خراج مصر فى أيامه إلى أكثر من ثلاثة ملايين دينار[١٧٦] .

وهناك مستحدثات أخرى نجمت إثر إنخفاض مياه النيل فى عهد الخليفة المستنصر بالله أكثر من مرة ، منها قيام الأجناد والأمراء وكبار موظفى الدولة من أصحاب الرواتب الثابتة بالالتزام بدلا من العمال الذين تعينهم الدولة بتحصيل الضرائب . غير أن الدولة تلجأ غالباً إلى نظام الالتزام إذا ماأصابها الضعف، ويتم اختيار الملتزم عن طريق المزايدة ، وكان المتزايدون – بجباية الضرائب فى قرية أو عدة قرى أو كور – من مختلف طبقات الشعب ، بدلاً من الملاك والفلاحين الذين انسحب معظمهم من جباية الضرائب ، نظراً لفقد معظمهم ثرواتهم إثر الشدة المستنصرية[١٧٧] .

ومن المستحدثات فى عهد الوزير المأمون البطائحى أنه أطال مدة الالتزام من أربع سنين إلى ثلاثين سنة ، وكان هذا العمل تمهيداً لقيام الاقطاعات العسكرية فى عهد الدولة الأيوبية(١٧٨) .

الخاتمة :

ويكشف لنا ما سبق أن حد وفاء النيل لم يكن ثابتاً بدليل قول القلقشندى "علت الأرض مما يرسب عليها من الطين المحمول مع الماء فى كل سنة"[١٧٩] ومن خلال هذه العبارة يتضح لنا سبب عدم ثبات درجة وفاء النيل . فأحياناً يكون اثنى عشر ذراعاً وأحياناً ستة عشر ذراعاً ، وأحياناً ثمانية عشر ذراعاً، و يذكر لنا شاهد عيان – وهو الرحالة ناصر خسرو– الذى زار مصر خلال عهد المستنصر بالله الفاطمى – أن الخليفة لايأخذ الخراج إلا إذا بلغ منسوب النيل ثمانية عشر ذراعاً.(١٨٠) ولهذا لم يكن الخليفة كما يذكر شاهد عيان يأخذ الخراج إلا إذا بلغ منسوب النيل حداً معيناً هو– على الأرجح – ثمانية عشر ذراعاً.

ويكشف لنا تذبذب منسوب النيل ، خاصة فى حالة الانخفاض ، عن سلوك اجتماعى يتعلق بمعاش المصريين وحياتهم ، وهو إسراعهم إلى التصدق ونذر النذور عند انخفاض منسوب النيل. كما يكشف ارتفاعه عن حالة من الحركة فى المكان ، فقد كان المصريون يتنقلون بين القرى بالزوارق حال زيادة منسوب النيل .

كما يكشف البحث عن أهمية نظافة قاع المقياس بالنسبة للفاطميين ، وأنها لاتقل عن أهمية مهمة قراءة منسوب مياه النيل ، وذلك لوجود رابط مشترك بين المهمتين . فإذا أهمل نظافة قاع ومجارى مقياس النيل ، وحدث سدد فى هذه المجارى تأثرت قراءة المقياس ، لهذا السبب استحدث الفاطميون أجراً إضافياً للمشرف على المقياس قدره خمسون ديناراً سنوياً للاهتمام بنظافة قاع مقياس النيل .

ويعد منع النداء على النيل حتى يصل حد الوفاء من المستحدثات التى أدخلها الخليفة المعز للحفاظ على استقرار الحالة الاقتصادية فى مصر، وهو ما يكشف عن

تأثير مباشر لتذبذب منسوب النيل باستقرار البلاد وأمنها، وذلك على عكس ما كان يحدث قبل ذلك ، فكان ينادى يوميا على مستوى نهر النيل

ومن الأساليب التى استخدمها الفاطميون للقضاء على الأزمات الاقتصادية الناجمة عن تذبذب منسوب النيل ، وبخاصة في حال انخفاضه ، تعيين محتسب يتميز بالشدة والصرامة ، وتنفيذ عقوبة الضرب والتشهير لمحتكرى السلع ، وتشديد المراقبة على تجار القمح والغلال ، وذلك حتى لا يتم التلاعب فى الأسعار. وكذلك تجديد جسور النيل والقناطر. كما كانت الدولة تقترض من التجار، و تصادر من تريد مصادرته بدون وجه حق ، وذلك عند حدوث أزمات اقتصادية.

أيضاً بلغ من سوء الحالة الاقتصادية أن أساء بعض موظفى الدولة إدارة أعمالهم المُكلفين بها – مثل متولى الصناعة كما رأينا فى حادثة الغريق – وذلك لزيادة موارد الدولة .

* *

الهوامش

١ – سورة الزخرف ، أية ٥١ ، والمقصود فى الآية (الأنهار) المتفرعة من النيل ، و(من تحتى) أى من تحت قصورى ، و(أفلا تبصرون) فيها تقدير والمعنى أفلا تبصرون عظمتى . جلال الدين محمد بن أحمد المحلى وجلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى ، " تفسير الجلالين " ، لبنان ، بيروت ، دار المعرفة ، (د. ت.) ، ص ٦٥٢

٢ – ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم فى إحداها أن النيل أحد أنهار الجنة ، وفى حديث آخر أنه نهر العسل فى الجنة ، وفى حديث ثالث " نيل مصر سيد الأنهار"، وقيل إن الذى وصفه بسيد الأنهار عبد الله بن عمرو بن العاص. ابن عبد الحكم ، أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى (المتوفى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م) : "كتاب فتوح مصر وأخبارها" ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٢٠م، ص ١٤٠، ١٤١ ؛ ابن مماتى ،أبو المكارم الأسعد ابن مُهذب الخطير أبو سعيد بن مينا (المتوفى سنة ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) : كتاب قوانين الدواوين ، تحقيق عزيز سوريال عطية ، القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ، ص ٧٥ .

٣ – حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) ، مرفوعاً ، أخرجه الإمام مسلم فى كتاب صفة الجنة ونعيمها، (د.م.) ، (د.ت.)، ج٢ ، ص ٢٦١ ؛ محمد ناصر الدين الألبانى : السلسلة الصحيحة ، (د.م.) ، (د.ت.) ، ص ٢٥ ، رقم الحديث ١١١ .

٤ – ابن مماتى: كتاب قوانين الدواوين ، ص ٧٣ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) : "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر" ، تحقيق على عبد الواحد وافى ، القاهرة ، دار نهضة مصر ، ٢٠٠٦ م ، ج١ ، ص٣٤٨ ، ٣٦٠ .

٥ – محمد محيى الدين رزق : أفريقيا وحوض النيل ، القاهرة ، ١٩٣٤ م ، ص ٩٠ .

٦ –أبو الفدا الملك ، المؤيد عماد الدين إسماعيل بن على صاحب حماة (المتوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م):" تقويم البلدان"، باريس ، دار الطباعة السلطانية ، ١٨٤٠ م ، ص ٤٦ .

٧ – ابن مماتى : كتاب قوانين الدواوين ، ص ٧٣.

٨ – سورة الفرقان ، ج١٩ أية ٥٣ .

٩ – الجلالين : ، تفسير الجلالين ص ٤٧٦.

١٠ – ج ٢٧، أية ١٩: ٢١ .

١١ – الجلالين : تفسير الجلالين ، ص ٧٠٩ .

١٢ – المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على،(المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية تحقيق محمد زينهم ومديحة الشرقاوى ، القاهرة، مكتبة مدبولى،١٩٩٨ م،ص ١٥٢

١٣ –أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر،القاهرة ، مكتبة الشعب ، (د.ت.) ، ج٢،ص ٥٤٣

١٤ – قصر الذهب هو الذى يعرف بقاعة الذهب ، وهو أحد قصور القصر الكبير بناه أمير المؤمنين العزيز بالله وبه سرير الملك . ــ المُسَبحى ،الأمير المختار عز الملك محمد بن عبيد الله بن أحمد (المتوفى سنة٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م) : " أخبار مصر" ، الجزءالأربعون ، تحقيق : أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى، القاهرة ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٧٨ م ، ج١ ،ص ٢٨ ، هامش ٣ .

١٥ – المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ،ص ٢٨ ، هامش ٣ .

١٦ – نفسه ، ج١ ، ص ١١، ١٦ .

١٧ – المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص ٢٣ ، هامش ٣، ٤.

١٨ – نفسه ، ج١ ،ص ٣٨ .

١٩ – للمزيد عن بناء المقياس بجزيرة الروضة انظر : الكندى ، أبو عمر محمد بن يوسف (المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) : ولاة مصر، (د.م.) ، (د.ت.) ، ص ١٠١ ؛ ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٥ ؛ أبو المحاسن ، جمال الدين يوسف بن تغرى بردى (المتوفى سنة ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م) : " النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة " ، القاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومى ،(د. ت.)، ج٢ ، ص ٣١١ ؛ المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧١ ؛ سيدة إسماعيل الكاشف: مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٨ م ، ص ١٥٣، ١٥٤ .

Frank R. Trombley, "The documentary background to the *history of the patriarchs* of ps.–Sawirus ibn al–Muqaffac *ca.* ٧٥٠–٩٦٩ c.e", in: *From al–Andalus to Khurasan: documents from the medieval Muslim world*, edited by Petra M. Sijpesteijn [et al.], Leiden & Boston, ٢٠٠٧ p. ١٤٠.; J. Ruska, "MIKYAS", *The Encyclopedia of Islam*, ed. C.E. Bosworth, Leiden–E J. Brill, vol. ٧, ١٩٩٣, p. ٣٩.

٢٠ – سيدة الكاشف : مصر فى عصر الولاة ، ص ١٥٣.

Edward William Lane, "The Manners and Customs of the Modern Egyptians"London&Toronto J.M.Dent &Sons Ltd.&in New York by E.P.Dutton & Co . Printed in Great Britain ,١٩٢٣, p. ٤٩٨; Frank R. Trombley, "The documentary background", p. ١٤٠ .

٢١ – تقع جزيرة الروضة فى مجرى النيل بين مصر القديمة والقصر العالى من الجهة الشرقية للنيل وبين الجيزة وشاطىء النيل الغربى من الجهة الغربية ، وقد عُرفت بجزيرة المقياس حيث يوجد بها مقياس النيل، ثم عُرفت بجزيرة الروضة نسبة إلى البستان الذى أنشأه فى نهايتها البحرية الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٩٠ هـ /١٠٩٦ م وسماه الروضة . للمزيد أنظر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٧٢ .

O. Weintritt, "RAWDA", *The Encyclopedia of Islam*, ed. C.E. Bosworth, Leiden–E J. Brill, vol. ٨, ١٩٩٥, p. ٤٦٣. (٤٦٣–٤٦٥)

٢٢ – المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص ٣٣ ، هامش ٤ .

Edward William Lane, "The Manners and Customs, p. ٤٩٨; Frank R. Trombley, "The documentary background", p. ١٤٠; Roland–Pierre Gayraud, " Fustat", in: *Medieval Islamic Civilization: an Encyclopedia*, ed. Josef W. Meri, New York & London, vol. ١, ٢٠٠٦, p. ٢٧٣; Boaz Shoshan, "Nile", in: *Medieval Islamic Civilization: an Encyclopedia*, ed. Josef W. Meri, New York & London, vol. ١, ٢٠٠٦, p. ٥٦١.

٢٣ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٣١١ ؛ محمد عوض محمد : نهر النيل، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ م ، ص ٢٧٩ .

٢٤ – أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

٢٥ –القلقشندى، أبو العباس أحمد بن على (المتوفى سنة ٨٢١ هـ / ١٤١٨م): صبح الأعشى فى صناعة الإنشا"، القاهرة ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٨م ، ج٣ ، ص ٢٨٨، ٢٨٩ .

٢٦ – ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٤ ؛ المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٦ .

٢٧ –حُفر على مقياس النيل علامات الأذرع والأصابع ، فكل ذراع أربع وعشرون قسماً متساوية تعرف بالأصابع . انظر: المقدسى، محمد بن أحمد البشارى (المتوفى بعد سنة ٣٧٧ هـ/ ٩٨٧ م):"أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم"، (د.م.)، (د. ت.) ، ص٩٦ ؛ المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٤ ؛آدم متز:الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة محمد عبد الهادى أبوريدة، القاهرة ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٣ م ،ج٢ ، ص ٢٥١ .

٢٨ – يبلغ معدل طول وحدة قياس منسوب مياه النيل التى تعرف "بالذراع " أربعة وعشرين إصبعاً ، ويبلغ معدل طول هذه الذراع وفقاً لدراسات الحملة الفرنسية ٥٤،٠٤ سم ، وتعرف هذه الذراع بالذراع السوداء التى استحدثت فى عهد المأمون العباسى. فالتر هنتس:المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها فى النظام المترى، ترجمة عن الألمانية د.كامل العسلى،عمان،منشورات الجامعة الأردنية،١٩٧٠م،ص٨٣ ،٨٨ بينما يذكر الماوردى ،أبو الحسن على بن محمد بن حبيب (المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) فى كتابه الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، (د.م.)،(د.ت.) ، ص

١٢٢،١٢٣. أن الخليفة هارون الرشيد هو الذى وضع الذراع التى عرفت بالسوداء ، وقد قدرها بذراع خادم أسود كان على خدمته .

٢٩ – القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٢٩٠.

٣٠ – المقدسى: أحسن التقاسيم،ص ٩٦ ؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية،ج ٢ ، ص ٢٥١

٣١ – المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٦ ؛ سامى محمد نوار: المنشآت المائية بمصر منذ الفتح الإسلامى وحتى نهاية العصر المملوكى دراسة أثرية معمارية ، الإسكندرية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ١٩٩٩ م ، ص ٢٤ .

٣٢ – المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٦. Edward William Lane, "The Manners and Customs , p. ٤٩٨; Kramers, "Al–Nile", p. ٤١.

الذراع المصري يساوي ٥٨ سنتيمتراً ، والإصبع يساوي ٣,١٢٥ سم. انظر ، Frank R. Trombley, "The documentary background", p. ١٤١.

غير أن هذا الرقم غير صحيح وذلك لأن حاصل ضرب طول الإصبع٣,١٢٥ سم × ٢٤ أصبع وهو طول الذراع ٧٥ سم وليس ٥٨ سم .

٣٣ – آدم متز: الحضارة الإسلامية ، ج٢، ص ٢٥١ .

٣٤ – المقدسى : أحسن التقاسيم ، ص٩٦.

٣٥ – سامى محمد نوار: المنشآت المائية ، ص ٢٤ ، هامش ٣.

Edward William Lane, "The Manners and Customs , p. ٤٩٨.

٣٦ – القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٢٨٩ .

٣٧ – نفسه ، ج٣ ، ص ٢٩٣ .

٣٨ – المقدسى :" أحسن التقاسيم " ، ص٩٦.

٣٩ – المقريزى تقى الدين أحمد بن على (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م): اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،١ ــ ٣ ، الأول تحقيق جمال الدين الشيال ، الثانى والثالث تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ م ، ج١ ، ص ١٣٨ ، ١٣٩ ، ونلاحظ أن المقريزى فى أتعاظ الحنفا لم يذكر حد الوفاء وإنما ذكره المحقق ، جمال الدين الشيال فى ج١ ، ص ١٣٨ هامش ٢ وقال إن حد الوفاء ١٦ ذراع، ولم يذكر المقريزى أيضاً فى كتابه الخطط ، ج١ ، ص ١٧٨ حد الوفاء ، وإنما ذكره من قاما بتحقيق كتاب الخطط ، فقد قالا إنه ١٦ ذراع .

٤٠ – المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٨ .

٤١ – ناصر خسرو: سفر نامة ، ترجمة يحيى الخشاب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م ، ص ٩٦ ، ٩٧ .Edward,The Manners and customs , p٤٩٨

٤٢ – النص الأصلى عام أول .

٤٣ – المقدسى :" أحسن التقاسيم " ، ص٩٦.

٤٤ – يبدو ان هذه العبارة صدرت فى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله أو الخليفة الظاهر ؛ وذلك لأن المؤرخ المسبحى عاصرهما ، وهو الذى قال : خرج صاحب القصر إلى ابن حيران بتحرير هذه العبارة . المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٨ .

٤٥ – نفسه ، ص ١٧٨.

٤٦ – الحسن بن الوزان الزياتى ، ليون الإفريقى (المتوفى سنة ٩٥٧ هـ /١٥٥٠ م)، وصف إفريقيا، ترجمة د.عبد الرحمن حميدة القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٥ م ، ص ٥٨٩ . Edward,The Manners and customs , p٤٩٨

٤٧ – ابن الوزان : وصف إفريقيا ، ص ٥٨٩ .

٤٨ – آدم متز: الحضارة الآسلامية ، ج٢ ، ص ٢٥٢ .

٤٩ – وهى بالتمام ثلاثة أشهر وعشرون يوماً وهى : أبيب ، مسرى ، توت ، وعشرون يوماً بن بابه . ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٧٤ .

٥٠ –أيمن فؤاد سيد :الدولة الفاطمية فى مصر،القاهرة ،مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٧ م،ص٤٦٧ .

٥١ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٢١٥ ، هامش ١ .

٥٢ – ادم متز : الحضارة الإسلامية ، ج٢ ، ص ٢٥١ .

٥٣ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص١١٨ ، ١١٩ .

٥٤ – أحمد حسين: موسوعة تاريخ مصر، ج٢،ص ٥٣٧ .

٥٥ – ناصر خسرو: سفر نامة ، ص ٩٧ .

٥٦ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٥ ، ص ٥٧ .

٥٧ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٢ ، ص ٣١٣ .

٥٨ – ابن أبى الزدّاد ، لقب لكل من يتولى أمر مقياس النيل بجزيرة الروضة ، وسبب ذلك أن النصارى كانوا يتولون مهمة قياس ماء النيل ، غير أن الخليفة العباسى المتوكل أمر بعزلهم وعين بدلاً منهم أبا الرداد عبد الله بن عبد السلام بن أبى الرداد المؤذن ، فاستقرت مهمة قياس ماء النيل فى بنيه حتى القرن التاسع ، وصار كل من يتولى أمر المقياس يلقب بابن أبى الرداد. المسبحى،أخبار مصر،ج١ ،ص ٣٧ ، هامش ٣ ؛ القلقشندى ج٣ ، ٢٩٥.

٥٩ – أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ٤٥٢ ، ٤٥٣ .

٦٠ – أبو المحاسن : النجوم ، ج٥ ، ص ٢٢٧ .

٦١ – المسبحى: أخبار مصر، ج١، ص ٤٧ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢، ص ١٥٠ .

٦٢ – المقريزى : إغاثة الأمة بكشف الغُمة ، القاهرة ، مكتبة الأسرة ، ١٩٩٩، ص٤١؛ اتعاظ الحنفا ، ج١،ص ١٢٠.

٦٣ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ٢٩١ .

٦٤ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٧٦ .

٦٥ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ٨ ، ١٥ .

٦٦ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٩٩ .

٦٧ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٨ ،١٥ .

٦٨ نفسه ، ص ٧٠ .

٦٩ أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

٧٠ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٧٠ .

٧١ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص٢٢٠ .

٧٢ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ١٥، ٧١ ، ٧٤ .

٧٣ – نفسه ، ج٢ ، ص ٧٦ ، ٧٨ .

٧٤ – نفسه ، ج٢ ، ص٩٣ .

٧٥ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص١١٢ ، بينما يذكر أبو المحاسن فى كتابه النجوم،ج٤ ، ص ٢٤٠ ، أن ارتفاع النيل بلغ فى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥ م، ستة عشر ذراعا وإصبعين؛ ونلاحظ اختلافاً بين مستوى نهر النيل عند المقريزى وأبي المحاسن، ويبدو أن قول المقريزى هو الصواب لأن ٢١ ذراع تؤدى فعلا إلى الاستبحار.

٧٦ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص١١٢ .

٧٧ – المُسَبحى: أخبار مصر ، ج١ ، ص ٩ ؛ بينما يذكر أبو المحاسن: النجوم، ج٤ ، ص ٢٦٠ أن مبلغ الزيادة فى سنة ٤١٤ هـ أربع عشرة ذراعا وأربع عشرة إصبعا؛ ولم يذكر المقريزى المقدار الذى انخفض إليه منسوب ماء النيل .

٧٨ – المسبحى : أخبار مصر، ص١٢ :١٥ ؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج ١٣٤،٢ ، ١٣٥.

٧٩ – بلغت الزيادة ستة عشر ذراعاً . أبو المحاسن : النجوم ، ج٤ ، ص ٢٦٢ .

٨٠ – المسبحى : أخبار مصر، ج١ ، ص ٣٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ١٤٢

٨١ – المقس ، والمكس ، والمقسم ، وأم دُنَين كلها أسماء مترادفة لقرية كانت واقعة على شاطىء النيل وقت أن كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع عماد

الدين وميدان محطة مصر، وسميت قرية أم دُنين بالمقس لأن العشّار وهو المكاس كان فيها يستخرج الأموال ، فقيل له المكس ثم قيل المقس . فالمقس هو ميناء القاهرة فى زمن الفاطميين ومكانها قرب موقع حديقة الأزبكية . وقد انحسر النيل عنها فى أواخر زمن الدولة الفاطمية فأصبحت بولاق ميناءها زمن الأيوبيين . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٤ ،ص ٥٣ ،٥٤ ؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ٢٥؛ للمزيد أنظر المقريزى : اتعاظ الحنفا،ج٢ ، ص٦ ، ٣١

٨٢ – المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص ٣٩ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ٤٨٩

٨٣ – نوع من الخبز يعرف بالخشكار، مصنوع من الدقيق الخشن الذى لم تنزع نخالته ولم تنظف حنطته قبل الطحن. المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ٤٨ ، هامش ٣ ؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، دار الثقافة العلمية ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، ص ٣٤٣ .

٨٤ – الخبز الحوارى بضم الحاء وشد الواو وفتح الراء : هو الخبز الذى يصنع من الدقيق الأبيض المنخول جيداً . المسبحى: أخبار مصر ، ج١، ص ٤٨ ، هامش ٣؛ عبد المنعم عبد الحميد سلطان :الحياة الأجتماعية ، ص ٣٤٣ .

٨٥ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .

٨٦ – المسبحى : نفسه ، ج١ ، ص ٦٧ ، ٦٩ .

٨٧ – واحد من الثلاثة الذين تسلطوا على الخليفة الظاهر بعد عزل الأمير شمس الملك أبى الفتوح المسعود بن طاهر الوزان عن منصب الوساطة ، والاثنان الآخران هما الشيخ العميد محسن بن بَدوس ، والشيخ نجيب الدولة أبو القاسم على بن أحمد الجرجرائى ، بالإضافة إلى القائد الأجل عِز الدولة وسنانها أبى الفوارس معضاد الأسود . أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ١٨٣ .

٨٨ – المسبحى:أخبار مصر،ج١، ص ٣٨ ، ٩٥ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢،ص ١٤٤

٨٩ – ومضمون السجل الذى قُرىء فوق المنبر " أنه انتهى إلى أمير المؤمنين أن المستخدمين فى الصناعة يتعمدون تَغريق من ينزل البحر من الناس ، ويمنعون القوارب من إنقاذ من يلْتمس الخلاص منهم ليأخذوا على ذلك واجباً قد أقامه متولى الصناعة محمد الحسنى العجمى على كل غريق ديناران ونصف وأن ذلك لما أُنهِىَ إلى حضرة أمير المؤمنين أنكره وأكبره ومنع من أخذ درهم واحد فما فوقه عما هذه سبيله والمنع منه ".

٩٠ – المسبحى :أخبار مصر،ج١ ، ص ٤٢ ؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص١٤٥

٩١ – المسبحى : نفسه ،ج١ ، ص ٥٣ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ١٥٤ . ويتضح لنا من هذه الفقرة عدة نقاط منها : شخصية متولى الصناعة المادية ، بالأضافة إلى أن الدولة كانت

تقترض من التجار كما كانت تصادر من تريد مصادرته بدون وجه حق وذلك عند حدوث أزمات أقتصادية ، كما يوضح مدى ماوصل إليه الغلاء حتى أن التجار لم يعد لديهم مايمكن مصادرته .

٩٢ – عن منسوب مياه النيل خلال هذه الفترة انظر : ابن أيبك الدوادارى ، أبو بكر عبد الله بن أيبك (المتوفى بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م) : كنز الدرر وجامع الغرر ، ج٦ ، المسمى الدرة المضيئة فى أخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ، ١٩٦١ م، ص ٣٨١، ٣٨٥ ،ن ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٨ .

٩٣ – ابن حَجَر العَسقَلانى ، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على (المتوفى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨ م) : رفع الإصر عن قضاة مصر ، (د.م.) ،(د.ت.) ، ص ٥٩

٩٤ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٥ ، ص ١٢٨ .

٩٥ – راشد البراوى : حالة مصر الأقتصادية فى عهد الفاطميين ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الأولى ، ص ٨٥ ، ٨٦ .

٩٦ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

٩٧ – المقريزى : نفسه ، ج٢ ، ص ٧٦ ، ٧٨ .

٩٨ – محمد عبد الله عنان:الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٨٣ م ، ص ١٣١.

٩٩ – المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

١٠٠ – نفسه ،ج٢ ، ص ٨٩ ، ٩٠.

١٠١ – أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ٢٣٥ .

١٠٢ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ١٠٠.

١٠٣ – نفسه ، ج٢ ، ص ١٠٩ .

١٠٤ –المُسَبحى: أخبار مصر، ج١، ص٩؛ بينما يذكر أبو المحاسن، النجوم، ج٤، ص٢٦٠ أن مبلغ الزيادة فى سنة ٤١٤ هـ/ ١٠٢٣ م أربعة عشرذراعا وأربعة عشر اصبعا؛ ولم يذكر المقريزى مقدار الذى انخفض إليه منسوب ماء النيل.

١٠٥ –المسبحى: أخبار مصر، ج١، ص١٢: ١٥؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٣٤، ١٣٥.

١٠٦ المسبحى : أخبار مصر، ج١ ، ص ١٢ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢، ١٣٤.

١٠٧ المسبحى: نفسه ، ج١ ، ص ٦٧ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢، ص ١٦١ ، ١٦٢.

١٠٨– ومن أمثلة ذلك قيام "رجل شاب مستور متعفف " بانتزاع عظم من الكلب وابتلعه نيئاً ، وهنا يوضح لنا الكاتب أن الرجل من الطبقة المقتدرة مادياً مما يوضح مدى درجة الغلاء والقحط الذى

حدث خلال تلك الفترة . المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص٧٣ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢، ص ١٦٤.

١٠٩ المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص ٨٦ ؛ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢، ص١٦٩

١١٠ المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ١٧١ ، ١٧٢ .

١١١ النيل فى سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م بلغ الماء القديم ذراعين وخمسة أصابع، ومبلغ الزيادة ستّة عشر ذراعاً سواء . أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٢.

١١٢ – وقد برر العبيد مافعلوه بشدة الجوع. المقريزى: اتعاظ الحنفا،ج٢، ص ١٦٩ ، ١٧٠.

١١٣ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ .

١١٤ السبب فى ذلك الوزير اليازورى الذى قام بتخزين سلع لا يخشي عليها من التلف مثل الخشب والصابون، هذا بالإضافة إلى أنها ستأتى بربح أوفر على الدولة بدلا من الغلة التى أعتاد الخليفة المستنصر بالله أن يشتري كمية كبيرة منها سنويا تحسباً لحدوث مجاعة، وليُلزم التجار بالبيع بالسعر الذى يبيع به. المقريزي: إغاثة الأمة ص ٢٠.

١١٥ – أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج ٥، ص ٥٩.

١١٦ – المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة ، ص ٢٤.

١١٧ – ابن حجر العسقلانى: رفع الإصر عن قضاة مصر، ص٥٧.

١١٨ – محمود محمد الحويرى: مصر فى العصور الوسطى، دراسة فى الأوضاع السياسية والحضارية، القاهرة ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، ١٩٩٦ م، ص١٦٦.

١١٩ – ابن المأمون، الأمير جمال الدين أبو على موسى (ت . ٥٨٨ هـ / ١١٩٢ م) نصوص من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، القاهرة، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ١٩٨٣ م، ص ١١، ١٢.

١٢٠ – القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٣٠٢ .

١٢١ – ايمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ٤٥٣ .

١٢٢ – المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٧٩ .

١٢٣ – قبالة ج. قبالات، ويقوم المتقبلون بجباية الخراج وسائر الضرائب الأخرى للدولة مُقابل مبلغ محدد ، يدفعه المتقبل للدولة مقدماً، ثم يقوم بجمعها لنفسه فيما بعد جنى المحصول. أيمن فؤاد: الدولة الفاطمية، ص ٧١٤.

١٢٤ – ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

١٢٥ – أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ٤٦٨

١٢٦ – أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر ، ص ٥٣٧ .

١٢٧ المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ١٠٠ .

١٢٨ كان خليج الاسكندرية مبلطاً بالرخام من أوله إلى آخره. ابن مماتى: قوانين الدواوين، ٧٨.

١٢٩ – راشد البراوى : حالة مصر الأقتصادية ، ص٢٥ ، ١٠٣ .

١٣٠ – هو موضع مرتفع ينحدر فيه ماء النيل، ابن العبري، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون الملطى (المتوفى سنة ٦٨٥ / ١٢٨٦ م): تاريخ مختصر الدول، (د.م.) ، (د.ت.)،

١٣١ – ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص ١٣٧، ١٣٨؛ أحمد حسين: موسوعة تاريخ مصر، ج٢، ص ٥٦١.

١٣٢ – ليلى دميرى وكورنيليا رومر : نصوص من العصر الإسلامى القديم فى مصر المسلمون والمسيحيون فى لقائهم الأول. برديات عربية من مجموعة إرز برزوج رينر، الترجمة إلى العربية : رهام وتاله جرجور، فيينا، المكتبة الوطنية النمساوية، ٢٠٠٩م. ص ٤٧

١٣٣ – المسبحى: أخبار مصر،ج١، ص ٣٣؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج٢، ص١٤٢.

١٣٤ – وكان المشرف على المقياس يتقاضى راتبا شهرياً مقداره سبعة دنانير يأخذها من صاحب الخراج مقابل الإشراف

على أمور مقياس النيل بالروضة وقياس منسوب مياه النيل. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢، ص ٣١١؛

المقريزى: اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ١١٩، ٢١٥ هامش ٤١ نفسه، ج٢، ص ٧٦، هامش ٢.

١٣٥ – يتصل المقياس بالنيل من خلال ثلاثة أنفاق، يصب ماؤها فى البئر من خلال ثلاث فتحات، فتحة فى كل

مستوى من مستويات البئر المدرجة، والثلاث فتحات كلها فى الجانب الشرقى بعضها فوق بعض حتى يظل الماء ساكناً فى البئر. أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية، القاهرة، دار الفكر العربى، ١٩٩٣م، ص ٨٠.

١٣٦ – المسبحى: أخبار مصر، ج١، ص ٤١.

١٣٧ – المقريزى: الخطط، ج١، ص ١٧٩.

١٣٨ – المسبحى: أخبار مصر، ج١، ص ٣٩، ٤١.

١٣٩ – حفره أمير مصر عمرو بن العاص وهو فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

١٤٠ – القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص . ٣٠٢، ٣٠٣.

١٤١ – خليج السردوس ويقال السردوسى ، وقد بطل هذا الخليج وعوض عنه ببحر أبى المنجا. القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣ ، ص٣٠٠.

١٤٢ – ابن المأمون: نصوص من أخبار مصر، ص ١١؛ القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

١٤٣ – المقريزى: إغاثة الأمة ، ص ٤١

١٤٤ – عبد المنعم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها فى مصر، القاهرة، دار الفكر العربى،١٩٩٤ م، ص ٣٠١ ، أحمد حسين: موسوعة تاريخ مصر، ج٢،ص ٥٣٧.

١٤٥ – المقريزى : اتعاظ الحنفا، ج١ ، ص ١٢٠.

١٤٦ – نفسه، ج١، ص ١٢٠.

١٤٧ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، ص ١٢٠ ، ١٢٢.

١٤٨ – المقريزى : إغاثة الأمة ، ص ٤٢

١٤٩ – نفسه، ص ٢٣.

١٥٠ – المقريزى: إغاثة الأمة، ص ٤٣؛ أحمد حسين : موسوعة تاريخ مصر، ص ٥٣٧.

١٥١ – المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج١ ، ٢٧٧.

١٥٢– أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ، ج ٤ ، ص ١٦٦.

١٥٣ – المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج ١، ص ٢٩١.

١٥٤ – لمقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢ ، ص ١٥، ٧١.

١٥٥ – المقريزى: إغاثة الأمة ، ص ٢٣.

١٥٦ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج٢ ، ص ٧٤ ، ٧٩.

١٥٧ – نفسه ،ج٢ ، ص ٨٩ ، ٩٠.

١٥٨ – ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج٤ ، ص ٢٣٢ .

١٥٩ – نفسه ، ج٤ ، ص ٢٣٥ .

١٦٠ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ،ج٢ ، ص ٨٩ ، ٩٠.

١٦١ – نفسه ، ج٢ ، ص١٦ ، ١٠٠ .

١٦٢ – عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية ، ص٣٠٢ .

١٦٣ – المسبحى: أخبار مصر، ص ١٥؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا، ج٢، ص ١٣٥.

١٦٤ – دوأس بن يعقوب الكُتامى قُلد الحِسبة والأسواق والسواحل فى خمس خلون من شهر رجب سنة ٤١٤ هـ /

١٦٥ – المسبحى : أخبار مصر ، ص ١٤ : ١٦ .

١٦٦ – واسمه " بقى الخادم الأسود "

١٦٧ – المسبحى: نفسه، ج١ ، ص ٦٧؛ المقريزى: اتعاظ الحنفا ،ج٢، ص ١٥١.

١٦٨ -المسبحى: أخبار مصر، ج١، ص٧٣، ٧٤؛ المقريزى: إتعاظ الحنفا،ج٢،ص ١٦٤، ١٦٥.

١٦٩ – المسبحى : أخبار مصر ، ج١ ، ص ٧٥.

١٧٠ – انظر نص السجل ، المسبحى : المصدر السابق ، ص ٧٥ .

١٧١ – نفسه ، ص ٧٦ .

١٧٢ – التليس وحدة وزن كيل هذا المكيال = ٨ ويبات زنة الواحدة منها= ٩٧،٥ كجم من القمح بيد أن استعماله كان قد بطل، وفى أوج العصور الوسطى كان التليس= ١٥٠ رطلا مصريا، وفى القرن التاسع عشر كان التليس حوالى ٢٢٥ كجم.انظر هنتس: المكاييل والأوزان، ص ٦٠

١٧٣ – كما خفف من حدة المجاعة قيام "على بن مُجاهد" حاكم دولة دَانِيَة (٤٠٠:٤٨٤هـ / ١٠٠٩ : ١٠٩١ م) قصبة الناحية الشمالية الشرقية من كورة القَنْت الاسبانية بالأندلس بإرسال السفن المملؤة بالمؤن لإنقاذ شعب مصر من المجاعة التي لحقت به. انظر ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمانى (ت ٧٧٦ هـ): تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق أ. ليفى بروفنسال، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٦ م، ص ٢٢١، ٢٢٢.

١٧٤ -المقريزي: إغاثة الأمة ص ٢٠، ٢٢؛ راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية ص ١٠٢

١٧٥ – ابن حجر العسقلانى : رفع الإصر عن قضاة مصر ، ٥٩ .

١٧٦ – المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص ١٨٤ .

١٧٧ – راشد البراوى : فى الاقتصاد الإسلامى ،القاهرة ، العدد ١٣ من كتاب الحرية ، ١٩٨٦ م ، ص ١٦، ١٧ .

١٧٨ – المرجع السابق ، ص ١٧ .

١٧٩ – القلقشندى : صبح الاعشى ، ج٣ ص ٢٩٦ .

١٨٠ – ناصر خسرو: سفر نامة ، ص ٩٧ .

* * *